أساليب وأدوات ابن جزي في التفسير

الباحث/ فيصل سعد رومي زيد المطيري

مقدمـــــة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدًى للعالمين، وتبصرة للمتقين، ومحجة للسالكين، القائل –سبحانه–: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـــد..

فإن هذا القرآن الكريم هو أعظم أبواب الهداية، وأجَلُّ سبل الفلاح، أنزله الله على عباده، هدًى، ورحمة، وبُشرى، وضياءً، ونورًا، وذكرى للذَّاكرين.

جمع فيه –سبحانه– العلوم النافعة، والمعاني الجليلة الكاملة. وهو كتاب بحره عميق، وفهمه دقيق، وخزائنه ملأى، لا يصل إلى استخراج كنوزه، واستنباط جواهره؛ إلا من تبحَّر في العوم، وعامل الله –تعالى– بتقواه في سره وعلانيته.

وإن الاشتغال بهذا الكتاب الكريم تَعَلُّمًا، وتعليمًا، ودراسةً؛ من أفضل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله –تعالى–، وقد بَيَّنَ الله –تعالى– فضل هذا القرآن وأهله، فوصف أهله بالعلم في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، وإنَّ إنزاله إنما كان للتدبر والاتعاظ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2] .

ومن الوسائل المعينة علي فهم وتدبر القرآن الكريم هو معرفة العلوم المتعلقة به ، لذلك عُنِي العلماءُ –قديمًا وحديثًا– بهذا الكتاب العظيم عنايةً لا مثيل لها. ومن أعظم ما يبيُّن ذلك؛ ما امتلأت به المكتبة الإسلامية من كتب التفسير –القديمة والحديثة– التي تشرح كلام الله –تعالى–، وتبيُّن معانيه، وما تضمَّنه من الأحكام.

---

(1) سورة الإسراء ، الآية (٩).

(2) سورة ص ، الآية (٢٩).

وقد امتلأتْ هذه الكتبُ –كتب التفسير– بكثيرٍ من الفوائد الدقيقة، واللطائف، والملح العلمية، والنكات البلاغية، والاستنباطات العلمية: من فقه، وآداب، وتربية، وهدايات قرآنية، وغيرها.

وإن من أعظم العلوم التي اشتغل بها المفسرون في هذه الكتب: علم التفسير ، وقد عُني العلماء بهذا النوع من العلوم عناية بالغة، تدل على أهميته ومكانته عندهم، ولا يكاد يوجد كتابٌ من كتب التفسير –قديمًا وحديثًا–، إلا وهو مُضَمَّنٌ عددًا كبيرًا من علوم الشريعة؛ من عقيدة، وفقه، وأصول، وتربية، وسلوك، وآداب، وغيرها؛ مما يدل على عظمة هذا الكتاب الكريم.

وكان العالم الجليل ابن جزي الغرناطي المالكي المذهب نابغة زمانه ، فقد ألف في علوم شتي انتفع الناس بها في سائر البلاد الإسلامية ، حيث كان مفسراً وإماماً في الأصول والفقه والحديث واللغة والأدب ، صاحب كتاب " التسهيل لعلوم التنزيل " ، أثني عليه جمع من العلماء معترفين بفضله ومكانته .

ولهذا فقد اخترت أن أدرس لواحد من أكابر علماء المالكية، هو ابن جزي الغرناطي لمكانته العظيمة في علوم التفسير وأهمية هذا العلم في بيان أحكام القرآن فجاءت هذه الدراسة بعنوان : " **منهج ابن جزي في التفسير** " .

أولاً : أهمية الموضوع :

لهذا الموضوع أهمية كبيرة حيث تؤدي دراسته إلى:

١. الحث على زيادة التأمل والتدبر لكتاب الله –تعالى–، وإظهار إعجازه على الوجه الصحيح.
٢. إيضاح معالم الجمع الصحيح بين النصوص، وبيان منهج السلف الصالح – رحمهم الله تعالى– في الاستنباط، والحث على التمسك به.
٣. محاولة صيانة كتاب الله –تعالى– من الانحرافات في الاستنباط المذموم.
٤. المكانة العلمية للإمام ابن جزي الغرناطي ،حيث يعد من أبرز المهتمين بالقرآن الكريم وعلومه في عصره .
٥. توضيح موقف ابن جزي من مسائل وقضايا علوم القرآن ، والمقارنة بين ما قرره ابن جزي في تفسيره وما قرره أشهر المفسرين في تفاسيرهم لعلوم القرآن وبيان معانيه.

٦. بيان مكانة ابن جزي السامية وقيمه أقواله وآرائه عند العلماء وعلو قدره ، فقد كانت له مساهمة جادة في قضايا التفسير.
٧. يعد تفسير ابن جزي من أواخر التفاسير الأندلسية التي تناولت علوم القرآن ، وهذا يعني مدي اهتمام وعناية الأندلسيين في علوم القرآن وإبراز جهودهم.

ثانياً: **أسباب اختيار الموضوع:**

تتجلَّى أسباب اختيار هذا الموضوع في النقاط التالية:

١. قيمة هذا الموضوع، إذ هو متعلِّق بمعرفة وفهم معان القرآن الكريم، والعمل به إلا بتعلمه وتعليمه ،وإذا كان فهم القرآن والعمل به واجباً على جميع أجيال المسلمين .
٢. التعريف بابن جزي كونه مغموراً لا يعرفه الكثير من طلاب العلم بالرغم من مؤلفاته المتنوعة الأغراض .
٣. بيان منهج ابن جزي الغرناطي وجهوده في تفسيره في شتي علوم التفسير المختلفة في اللغة ، والنحو ، والفقه .
٤. قدرة ابن جزي في تسخير العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم لخدمة أغراض التفسير بالعموم كعلم الحديث والفقه ، وعلم الأصول والنحو ، وبالخصوص : كعلم القراءات وعلم الناسخ والمنسوخ واصول التفسير وغريب القرآن والمتشابه اللفظي والترجيح.
٥. أن علوم التفسير ما زالت تحتاج إلى مجهود كبير لكي تبرز معالمه بشكل جلي.
٦. أن هذا الموضوع –على أهميته وضرورة بيانه– لم يكتب فيه رسالة علمية – في حدود علمي–، فأحببت أن أضيف بهذا العمل إلى المكتبة القرآنية جديدًا ينتفع الناس به.

ثالثاً : أهداف الموضوع:

يهدف هذا الموضوع إلى تحقيق عدد من الأهداف ومنها:

١. جمع أقوال الإمام ابن جزي وآرائه واختياراته في علوم القرآن حسبما يحتاجه كل موضع من مواضع الاختيار .
٢. إبراز جهود الإمام ابن جزي في خدمة علوم القرآن من خلال التعرف علي آرائه ومنهجه في التفسير.

٣. بيان مكانة ابن جزي وقيمته العلمية من خلال تفاسيره والتي امتازت بالاقتصار والاختصار عن دون أكابر المفسرين في عصره.

٤. محاولة جعل هذه الدراسة مرجعاً مهماً في مجال الدراسات العلمية في علوم القرآن وتفسيره.

رابعا: الدراسات السابقة:

لاشك أن دراسة هذا الموضوع دفعني إلى الاطلاع علي الدراسات السابقة في ذات الموضوع ومن هذه الدراسات :

١. " ابن جزي ومنهجه في التفسير " رسالة ماجستير لعلي محمد الزبيري ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم الدراسات العليا ، شعبة التفسير ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م.

٢. " مقاصد التنزيل من خلال كتاب التسهيل لابن جزي الكلبي لإدريس فريان، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، ١٩٩١م .

٣. " ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير " لفراس يحيي الهيتي ، رسالة ماجستير ، جامعة صدام للعلوم الإسلامية ببغداد ، العراق ، ١٩٩٥م.

٤. " ابن جزي الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي" ، لسليمان أبي الريش ، رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر ، مصر ، ١٣٩٥هـ.

٥. " الإمام ابن جزي الكلبي وجهود في التفسير من خلال التسهيل لعلوم التنزيل " لعبدالحميد محمد ندا، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة الأزهر ، مصر ، ١٤٠٠هـ .

٦. " ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير "، لإقبال عمر محجوب ، رسالة ماجستير ، كلية القرآن ، السودان ، ٢٠٠١م.

٧. " قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره " ، لعبد الله بن حمد الجمعان ، بحث تكميلي لدرجة الماجستير ، جامعة الملك سعود .

أما الدراسة الحالية فقد تميزت عن الدراسات السابقة بأنها جمعت آراء ابن جزي الكلبي ومنهجه في شتي علوم التفسير ، بالإضافة إلى مقارنة آراءه بآراء أكابر المفسرين في عصره ، حيث كانت له شخصية تفسيرية مستقلة، وقد تكون آراءه مخالفة لمذهبه المالكي.

خامساً : منهج الدراسة :

المنهج الذي سرت عليه في هذه الدراسة وحرصت على الالتزام به:

١- **المنهج الوصفي التحليلي** حيث أن هدف الدراسة جمع المعلومات الضرورية المرتبطة بموضوع الدراسة المتعلقة بالإمام ابن جزي الكلبي وتفسيره في بيان علوم القرآن الكريم .

٢- **المنهج الاستقرائي** وذلك باستقراء وتتبع آراء ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير والمتعلقة بعلوم القرآن.

٣- **المنهج المقارن** وذلك بإجراء بعض المقارنات بين آراء ابن جزي الكلبي ومنهجه التفسيري وآراء كبار المفسرين في عصره.

٤- عزو الآيات إلى المصحف الشريف، وبيان سورها في الحاشية .

٥- تخريج الاحاديث، وبيان ما ذكره أهل الحديث في درجتها والحكم عليها إن أمكن.

٦- توثيق الآراء الفقهية وعزوها إلى المراجع المختلفة في الحاشية.

٧- تعريف بالمصطلحات وشرح الغريب.

٨- العناية بقواعد اللغة والإملاء وعلامات الترقيم.

أساليب وأدوات ابن جزي في التفسير

المطلب الأول: التفسير بالمأثور عند ابن جزي

اعتمد ابن جزي في أساليبه في التفسير علي المأثور، وهو كل ما أثر عن رسول الله ﷺ وعن صحابته، وعن التابعين ممن عُرفوا بالتفسير، وكانت لهم آراء مستقلة مبنية على اجتهادهم[١] .

أما أنواع التفسير بالمأثور، فقد حددّها ابن جزي من ذكر هذا المصطلح من المعاصرين بأربعة،هي: "تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين" [٢] ، وسنتحدث تفصيلاً عن أساليب وأدوات التفسير عند ابن جزي وذلك علي النحو التالي :

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن عند ابن جزي:

الثابت إن أصح الطرق في ذلك –يعنى التفسير– أن يُفَسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان قد فُسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.

والمتتبع لتفسير ابن جزي يجد أنه يعتمد على هذا النوع من التفسير، وهو يعطيه من الأهمية كما يعطي غيره من أدوات التفسير، في حين أن هذا النوع مما يجب التركيز عليه بصفة خاصة، لأنه أفضل ما يفسر به كتاب الله تعالى.

والملاحظ أن ابن جزي أقتصدٌ في هذا المجال، ويرجع ذلك إلى أنه أراد أن يضع في تفسيره كل ما رآه حسنا من العلوم، ولهذا ضاق به المكان خاصة وأنه أراده تفسيراً موجزاً.

وأمثلة تفسير القرآن بالقرآن عند ابن جزي :

١– في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }[٣] .

وفسر ابن جزي الآية الكريمة بقوله : "وترجح قراءة ملك بغير ألف لقوله تعالى : **﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ ﴾** [٤]،[٥].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أحمد ابن تيمية ، الناشر: دار ابن حزم – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، ص ٨٤، الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، الناشر: دار الكتاب العربي –بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، (٢/٤٣٤).

(٢) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي ، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م،(١/١٥٤) ، مناهل العرفان للزرقاني (٢/١٢١٣).

(٣) سورة الفاتحة ، الآية (٤).

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٧٣).

(٥) التسهيل لابن جزي، (١/٣٣).

٢- وفي قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [١]

يقول ابن جزي في الآية الكريمة : " يحتمل أن يكون لفظه أمر، ومعناه شرط، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين، ويشير المصنف في ذلك لقوله تعالى: **﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾** [٢]،[٣] ".

٣- وفي قوله تعالى :﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[٤].

قال ابن جزي :" هذه الآية كقوله : **﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** " [٥]،[٦] .

ولعل هذه الأمثلة السابقة أظهرت ان ابن جزي اعتمد في تفسير القرآن بالقرآن، وهو من التفسير المأثور الذي يحمد عليه صاحبه .

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة عند ابن جزي:

السنة شارحة وموضحة للقرآن الكريم كما قال الله ﷻ:**﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾**[٧]، إضافة إلى أن النبي ﷺ معصوم في أمور التبليغ ومؤيد بالوحي[٨].

وبالوقوف على تفسير ابن جزي نلحظ أنه اعتمد في تفسيره على هذا الأصل من أصول التفسير مبيناً معنى آية ، أو مرجحاً قولاً على آخر إلى غير ذلك.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة عند ابن جزي :

١- عند تفسيره لقوله تعالى :{الحمد الله} [٩] .

يقول ابن جزي في تفسيرها للآية الكريمة :" فيها الشكر باللسان هو الثناء على المنعم، والتحدث بالنعم، قال رسول الله (ﷺ): "التحدث بالنعم شكر"[١٠].

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٨٠).

(٢) سورة المنافقون ، الآية (٦).

(٣) التسهيل لابن جزي ، (٨١/٢) .

(٤) سورة غافر ، الآية (١١).

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٨).

(٦) التسهيل لابن جزي، (٣/٤).

(٧) سورة النحل الآية ، (٤٤).

(٨) مجموع الفتاوي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م ، (١٣٨/٣) ، البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ، (١٧٥/٢).

(٩) سورة الفاتحة ، الآية (١).

(١٠) التسهيل لابن جزي ، ٣٢/١

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْـنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١) .

قال ابن جزي:" لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"(٢).

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٣) .

ويفسر ابن جزي الآية الكريمة فيقول : " روى عن النبي ﷺ أن الله بعث ثمانية آلاف رسول وفي حديث آخر أربعة آلاف "(٤) .

مما سبق من أمثلة لتفسير ابن جزي القرآن بالسنة ندرك أنه قد اهتم بهذا المصدر من مصادر التفسير بالمأثور.

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

يُعد التفسير بأقوال الصحابة –رضي الله عنهم– من التفسير المأثور، وذلك لأنهم عاصروا الرسول (ﷺ)، وشاهدوا التنزيل والوحي، وعاينوا من أسباب النزول، ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة الفطرة وصفاء النفس، وعلو الكعب في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى.

قال ابن القيم (٥) : تفسير الصحابة عندنا في حكم المرفوع، ومن لم يجعله مرفوعاً فلا ريب أنه عنده أصح من تفسير مَنْ بعده، والصحابة أعلم الأمة بتفسير القرآن، ويجب الرجوع إلى تفسيرهم"(٦).

ومن أمثلة تفسير القرآن بأقوال الصحابة عند ابن جزي ما يلي:

١. عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾(٧) .**

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٨٢).

(٢) التسهيل لابن جزي ج٢ص١٥

(٣) سورة غافر ، الآية (٧٨).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، (٤١٥/١)، وابن الجوزي في الموضوعات، (١٨٢/١)، وهما في طرفي نقيض، والصواب أنه ضعيف لا صحيح، ولا موضوع، انظر: الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، (٢٤٦/٢).

(٥) هو : أَبُو عَبْدِ اللهِ شَمْسُ الدِينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكرِ بْنُ أَيُّوب بْنُ سَعْدِ بْنُ حُرَيْزِ الزَّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ ، (٦٩١-٧٥١هـ / ١٢٩٢-١٣٥٠م)، المعروف بابن قيم الجوزية ، هُوَ فقيه ومحدّث ومفسر وعالم مسلم مجتهد وواحد من أبرز أئمّة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. ، انظر : أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (١٧٤/٢) ، والبداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، (٢٠٢/١٤).

(٦) التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم ، الناشر: دار الفكر – بيروت د.ت ، ص ١٤٠.

(٧) سورة البقرة ، الآية (١٤٣).

يقول ابن الجزي في هذه الآية : " قال ابن عباس: هي الكعبة " [١] .

٢. وعند تفسيره لقوله تعالى:" ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً**﴾[٢].

يقول ابن جزي : " فقال ابن عباس : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب ، وقال ابن مسعود : الكبائر هي المذكورة من أول هذه السورة – أي سورة النساء– إلى أول هذه الآية " [٣] .

٣.وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾ [٤] .

ذكر ابن جزي في تفسيره للآية الكريمة بأقوال الصحابة فقال : " قال ابن عباس: حملته وولدته في ساعة " [٥] .

٤.وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ** ﴾[٦] قال ابن جزي عند تفسيره للآية الكريمة بأقوال الصحابة : " قال ابن عباس: هي يوم القيامة ، وقال ابن مسعود : هي يوم بدر" [٧] .

ومن السابق لتفسير القرآن بأقوال الصحابة تبين أن ابن جزي قد اهتم بهذا المصدر كمصدر من مصادر التفسير بالمأثور.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين عند ابن جزي:

الثابت أن التابعين أخذوا كثيراً من التفسير عن الصحابة ﷺ ، وهم أهل القرون المفضلة، ولهم معرفة بلسان العرب خير من معرفة من جاء بعدهم، وهذه تعطي تفسيرهم مزية على تفسير من بعدهم وفي هذا يقول الإمام ابن تيميه: " أما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم"[٨].

وقال ابن القيم: ويكفي تفسير الصحابة والتابعين [٩]

---

(١) التسهيل لابن جزي، (١ /٦٢).
(٢) سورة النساء ، الآية (٣١).
(٣) التسهيل لابن جزي ، (١ /١٣٩).
(٤) سورة مريم ، الآية (٢٢) .
(٥) التسهيل لابن جزي ، (٤/٣).
(٦) سورة الدخان ، الآية (١٦).
(٧) التسهيل لابن جزي ، (٤ /٣٥).
(٨) مقدمة أصول التفسير لابن تيميه ، ص٥٤
(٩) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٥– ١٩٧٥م ، (٢٤٠/١).

وبالاستقراء لتفسير ابن جزي يتضح أنه لا ينقل عنهم إلا قليلاً وكأنه مع الذين قالوا إنه لا يؤخذ بتفسير التابعي على أنه حجة، وذلك لأنهم ليس لهم سماع من رسول الله ﷺ فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في تفسير الصحابي: إنما هو محمول على سماعه من النبي ﷺ ولأنهم لم يشاهدوا القرآن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد من النص القرآني.

وعلي الرغم من ذلك فعدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابة ، ولعل ابن جزي لم يكثر من الرواية عن التابعين كما فعل في نقله عن الصحابة.

ومن أمثلة مما نقله ابن جزي عن التابعين ما يلي:

١- **عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾**(١).

ونقل ابن جزي عن قول قتادة وعطاء والسدي: هو بيت المقدس. لأن النبي ﷺ كان يصلى إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة.

٢- **وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾**(٢) .

قال سعيد بن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب(٣) .

٣- **عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾**(٤) .

وقال ابن جزي في الآية: " ما قاله قتاده وابن زيد: إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد، وتم الكلام، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين" (٥).

ومما سبق يتبين ان ابن جزي يذكر أقوالاً كثيرة ولكنه لا ينسبها لأصحابها، ويقول عندها قيل: كذا، وقيل: كذا، وقد ذكر في مقدمته بأنه سيفعل ذلك قصداً للخروج من عهدته، ولعل كثيراً من هذه الأقوال هي من أقوال التابعين، لكنه لم ينسبها لهم لاعتقاده أنها تحتمل الصواب والخطأ، فأوردها دون ذكر صاحبها. والله أعلم.

وعلي هذا نلحظ مدى اعتماد ابن جزي على التفسير بالمأثور في كتابة التفسير، لكنه حسن لو ذكر أن " إن " في الآية تفيد الظن.

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٤٣).
(٢) سورة البقرة ، الآية (١٥٢).
(٣) التسهيل لابن جزي، (٦٢/١).
(٤) سورة الزخرف ، الآية(٨١).
(٥) التسهيل لابن جزي ، (٣٢/٤).

المطلب الثاني :التفسير بالـــــرأي عند ابن جزي

والمراد بالرأي :الاجتهاد ويسمى **تفسير بالدراية**، أو **تفسير بالمعقول** هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب، ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. غير أن الاجتهاد يجب أن يكون مبنياً على العلم والفقه.

والتفسير بالرأي نوعان هما:

الأول : الرأي محمود: والمقصود به التفسير بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العـــرب ومناحيهم في القول واستكمال شروط ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ وأســـباب النزول وغير ذلك من الأدوات موافقة مع الكتاب والسنة .

الثاني : الرأي مذموم : ويقصد به التفسير بالهوي كأن يقول له في الـــشيء رأي وإليـــه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن علي وفق رأيه وهواه ويحتج علي تصحيح غرضـــه الذي لا يدل عليه القرآن [1].

ويغلب التفسير بالرأي علي اتجاه بعض المفسرين وخاصة الذين هم مـــن أهـــل السنة ، وذلك لا يعني بعدهم عن التفسير بالمأثور، إلا أن المفسر بالرأي يختار من أقوال السلف أقواها في نظره وأقربها إلي معاني اللغة وأكثرها انسجاماً مع السياق القرآني.

وفي ذلك قال السيوطي :التفسير بالرأي هو الاجتهاد في تفسير القرآن الكـــريم، وفق قواعد وشروط أهمها: معرفة كلام العرب ومناحيهم في القـــول، ومعرفـــة الألفـــاظ العربية والوقوف علـــى دلالتهـــا ومقتـــضياتها. والعلـــم بأســـباب النـــزول، والناســـخ المنسوخ، والحـــديث والأصـــول والفقـــه، وأن يكـــون المفـــسر بعيـــداً عـــن الهـــوى ونزعة التعصب.[2]

وأضاف الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن بقولـــه: أن النـــاظر فـــي القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:[3]

المأخذ الأول :النقل عن النبي (ﷺ)، وهـــذا هـــو الطـــراز الأول، لكـــن يجـــب الحـــذر من الضعيف فيه والموضوع؛ فإنه كثير.

المأخذ الثاني :الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي محمد كما قاله الحاكم في تفسيره.

---

(١) الأحياء حول التفسير بالرأي للغزالي ، (٢٨٨/١)، والتفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ، (٢٥٤/٢).

(٢) موازنة بين تفسيري المحرر الوجيز لابن عطية وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تأليف: منصور بن فضيل كافي، ص: ٢٥٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، (١٥٦/٢).

المأخذ الثالث :الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل ﴿بلسَان عَرَبيّ مُبين ﴾[1] وقد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد [2]عنه – وقد سئل عن القرآن – تمثل له رجل ببيت من الشعر، فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد، وقيل: الكراهة تحمل على من يصرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة، يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها. وروى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا.

المأخذ الرابع :التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع. وهذا هو الذي دعا به النبي محمد(ﷺ) لابن عباس في قوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وروى البخاري في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي (ﷺ) قال : هل خصكم رسول الله بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل[3] ،

ومن السرد السابق يتضح اختلاف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل واحد برأيه على منتهى نظره في المقتضى.

إذن التفسير بالرأي يعني إعمال النظر العقلي واتباع طرق الاستدلال في بيان المعاني والأحكام المستمدة منها فيما لم يرد دليلٌ قاطع عليه. وأصحاب هذا التفسير يستمدون حجتهم من قول الله تعالى :﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهَا ﴾ [4]، وفي قوله :﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاته وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَاب ﴾ [5] وشرط جواز هذا التفسير أن يكون محكوماً بضوابط اللغة والأدلة الشرعية المُحكمة.

ومن السابق عرضه لهذه العلوم التي استعان بها ابن جزي في منهجه بالرأي ، نجزم بأن ابن جزي قد أعمل الرأي المحمود دون المذموم، فكان تفسيره جامعاً بين الرواية والدراية، وبين المأثور والرأي المحمود.

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٩٥).

(٢) هو : الفضل بن زياد، أبو العباس القطان ، أحد أصحاب أحمد بن حنبل، وممن أكثر الرواية عنه، حدث عنه يعقوب بن سفيان الفسوي، والحسن بن عبد الوهاب بن أبي العنبر، وأحمد بن مُحمّد بن إسماعيل الأدمي، وجعفر بن مُحمّد الصندلي.، الجامع لعلوم الإمام أحمد ، (١٦٤/٢) ، وطبقات الحنابلة ، (١٨٨/٢) ، وتاريخ بغداد ، (٣٦٣/١٢).

(٣)أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ٢٠٤ ، كتاب العلم (٣) ، باب كتابة العلم (٣٩) ، الحديث

(٤) سورة محمد ، الآية (٢٤)

(٥) سورة ص ، الآية (٢٩).

- **جمع ابن جزي بين التفسير المأثور والتفسير بالرأي :**

فالتفسير بالمأثور عند ابن جزي يسير إلي جانب التفسير بالرأي المحمود أو يأتي بعده ، وقد تحصل مراوحة بينهما ، والمراوحة ليست سمة خاصة لابن جزي بل هي سمة معظم المفسرين بعد ابن جرير الطبري ، باستثناء السيوطي الذي تجرد للتفسير بالمأثور فقط ، أما تفسير البغوي وابن كثير يعد من نوع التفسير بالمأثور تغليباً إلا أنها تجردت عن كل شيء عدا الرواية.

وأجاز ابن جزي التفسير بالرأي المحمود لمن تتوفر لديه أدوات وذلك شريطة أن يكون قد أطلع علي أقوال أهل العلم ووقف علي تفسيراتهم ، فتفسيره للقرآن لا يخرج عن قواعد اللغة وقوانين العلوم عن دائرة التفسير بالرأي ، فلا يكون والحالة هذه مفسراً بالرأي يقصد الرأي المذموم.

ويقول (ﷺ): " من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ " [١].

وحديث عائشة رضي الله عنها : " ما كان رسول الله (ﷺ) يفسر شيئاً من القرآن ألا بعد علمه أي من جبريل " [٢].

والحديثين دليل علي التشدد والحذر من تفسير القرآن وبيان أن هذه النصوص وأمثالها هي حجة لمن أحجم عن تفسير القرآن من السلف الصالح.

وذكر ابن جزي في تأويل المفسرين لهذين الحديثين بقوله : " وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوفيق من الله تعالي وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات لا فيمن تكلم بما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه " [٣].

ويمكن القول إن الناظر في تفسير ابن جزي يلحظ أنه جمع بين التفسير المأثور والتفسير بالرأي (بالاجتهاد) حسبما تقتضيه قواعد اللغة والنحو وسائر أدوات علوم الشريعة الإسلامية ، وإن كان يغلب علي تفسيره جانب الرواية والأثر في الاجتهاد الشخصي.

---

(١) رواه الترم ن جرير في تفسيره ، تحقيق : محمود أحمد شاكر ، (٨٤/١)، وتكلم الطبري فيما بعد في إسناده وضعفه ذي في سننه ، (٢٦٨/٤) ، قال الترمذي هذا حديث غريب

(٢) رواه اب ، (٨٩/١)، وقال ابن كثير عن الحديث في تفسيره " حديث منكر غريب " ، (١٨/١).

(٣) مقدمة التسهيل لابن جزي ، (٩/١)

المصادر والمراجع:

أولاً : القرآن الكريم .

١. ابن كثير الدمشقي لمحمد الزحيلي، دار القلم ، دمشق ، سوريا ١٤١٥ هـــ – ١٩٩٥م ص ١٥٢ .

٢. أبو حنيفة حياته وعصره ، آراؤه وفقهه لمحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة،

٣. الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٥

٤. اختلاف علماء الامصار في احكام شرائع الاسلام لابن جرير الطبـــري، دار اللؤلـــؤة ، مصر ، ١٤٤٢هـــ/ ٢٠٢١م

٥. أسباب الخطأ في التفسير لطاهر محمود ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٤م

٦. الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر الشريف ،

٧. الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، رسالة دكتوراه لرمـــزي نعناعـــة ، دار القلـــم ، دمشق ، سوريا ، ١٣٩٠هـــ – ١٩٧٠م

٨. الأشباه والنظائر للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت

٩. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ١٣٩٦هـــ

١٠. أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ، ١٤١١هـــ – ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،

١١. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعـــي أبـــو عبـــد الله ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعـــة الثانيـــة ١٣٩٥-١٩٧٥م

١٢. الأم لأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م

١٣. الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين لمحمد الزحيلي ، دار القلـــم ، دمـــشق ، سوريا ، ١٩٩٩م

١٤. البحر المحيط للزركشي ، تحقيق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ
١٥. البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م
١٦. البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م.
١٧. البداية والنهاية لابن كثير ، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ م
١٨. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ
١٩. بغية الوعاة للسيوطي ، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، الكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، د.ت ،